مكتبة المقتطف

دعاء الكروان

الدكتور طه حسين بك — ٢١٤ صفحة من القطع الوسط — مطبعة المعارف بمصر

للدكتور طه حسين بك مكانة أدبية سامية في العالم العربي وحظ من الصيت بعيد بين رجال الفكر، كما ان له نصيباً كبيراً في تدعيم أسس الحركة الفكرية في الادب العربي الحديث فلا يكاد يخرج له أثر أدبي حتى تتلقاه الدوائر الادبية في مصر والعالم العربي كما يتناوله رجال الاستشراق في الغرب بما هو جدير به من التقدير والاعجاب. فلما أخرج في عام ١٩٢٧ أول روائعه القصصية « الايام » التي صور فيها حياة طفولته لقيت من الترحيب أجل مظاهره وفتن بها الادباء أشد افتتان وأقبل عليها أدباء من شتى الاقطار ينقلونها الى لغاتهم معجبين بما فيها من فن صادق وتصوير للحياة بالغ حد الاخلاص للفن، فهم منها الادب العربي الحديث نثراً وتبدأ واكتسب بها قوة وثراء . . . كذلك كانت قصة الدكتور طه الثانية « أديب » التي أخرجها عام ١٩٣٠

ولم يكد الدكتور طه ينشر قصته الثالثة « دعاء الكروان » في سنة ١٩٣٤ فصولا متتابعة في مجلة « الفجر » حتى قام المستشرق الروسي « كزمرسكي » بترجمتها الى الروسية فنقلت عنها الى خمس عشرة لغة من لغات الروسيا المحلية وهي بعد لم تظهر بين دفتي كتاب. وها هي اليوم تطلع من جديد على عشاقها فتأخذ مكانها الى جانب أخواتها لتزيد في ثراء آدابنا

و « دعاء الكروان » قصة فتاة اعرابية تروي حياتها بين الشقاء والتعاسة وبين أحضان الالم حين انتقلت مع أمها وأختها التي تكبرها بعد مقتل أبيهما من وطنهن وما زلن يتنقلن من قرية الى أخرى حتى استقر بهن المقام في مدينة فاتت كل منهن لنفسها الحياة في خدمة بيت من بيوت المدينة. وكان نصيب صاحبة القصة وهي الفتاة الصغيرة بيت المأمور خادماً خاصة بابنته التي كانت لا تزيد عنها في السن الا قليلاً. أما أختها الكبيرة (هنادي) فقد التحقت بخدمة شاب من المترفين يشتغل مهندساً في المدينة. وترى الفتاة الصغيرة نفسها بعد حين تُنتزع من بيت المأمور وترحل عن المدينة مع أمها وأختها وهي لا تدري سبباً لهذا الرحيل. وترى الالم مرتسماً على وجه أختها والحيرة والصمت على وجه أمها حتى ينزلن

ضيعات على منزل عمدة في قرية من القرى لجأن اليها حتى تتصل أمهما بمن يبلغ أخاها عن مكانهن فيأتي اليهن ليردهن الى وطنه ، وتراهن وقد احتملهن جبلان يعضبان بهما في صحة هذا الخيال . وقد عرفت الفتاة الصغيرة سر الكآبة من نفس أختها الكبيرة وسر الوجوم والحيرة من نفس أمها . وفي الطريق تطلع بصيرة هذه الفتاة على لون من الحياة أشد نكراً مما رأت من ألوان هذه الحياة ، ترى هذا اللون الاحمر من دم أختها الكبيرة وقد صرعها خالها في الطريق «لان شابًّا آثماً أغواها ولانها لم تحسن ان تدفع عن نفسها غوايته» . ويعود هذا الخال القاتل الى أخته وابنتها الصغيرة بعد ان يواري الجسد الصريع في التراب فيحملها الى حيث كانت وجهته ، ولكن هذه الفتاة التي شهدت الجريمة بعد ان استقرت في وطنها زمناً لا تحس باستقرار روحها في هذا المكان فتفر منه تحت ستار الليل ، وما تزال تجد في السير حتى تبلغ المدينة التي رحلت عنها وتبلغ الدار التي كانت تعيش فيها في خدمة بيت المأمور . ولكن في نفسها أشياء ؛ وفي قلبها أحزاناً وهموماً وصورة أختها لا تفارقها ولا تزول من خيالها ، صورة الدم المتفجر والجريمة التي أودت بحياة أختها والشاب الذي دفعها الى الموت فهي تحاول الوصول اليه . وما تزال تعمل في سبيل غايتها كل ما تستطيع حتى تفاجئها الايام بحيرةٍ أشد من حيرتها السابقة إذ تعلم ان ابنة المأمور التي تحبها وتخلص لها قد تخطب الى هذا المهندس الذي أودى بحياة أختها في ساعة طيش والتي تبغضه كل البغض وتشتاق رؤياه كل الشوق وتريد الوصول بغايتها المكتومة في نفسها الى رحابه . ولكنها تعمل على انقاذ الفتاة التي أحبتها من يد هذا الآثم وقد أفلحت . وما يلبث ان يسعى المأمور الى الانتقال من المدينة وما تلبث الفتاة ان تشتغل خادماً في بيت آخر . ولكنها تطرد منه . وقد أضنها غايتها عن كل ما تجد في حياتها من متاعب وآلام ومن اخفاق وحيرة حتى تحس وميض الامل يتبعث قريباً ، وما هي الا أيام حتى تكون في دار هذا المهندس ذاتها بخدمته وتراها وقد وقفت أمام ما يريد هذا الشاب اكراهها عليه موقفاً يبعثه على الحيرة وعلى الالم والعذاب والحب فهو يعلنها ذات يوم بالفراق وأنه سيترك هذه المدينة الى القاهرة ، ولكنها تجد في هذا الاعلان صدمة أليمة لنفسها ، ويدرك الشاب فيها هذا الالم فيرى من وراء دموعها ما يبعث الاشراق في نفسه فيطمئنها بأنه لن يتركها وأنها ستصحبه الى القاهرة . وتراها بعد قليل وقد أقامت معه في منزل أهله بالقاهرة وقد صحب معه الشاب وحسنت سيرته فهو مقبل على القراءة لا يفارق داره . ولكنه لم يستطع صبراً عن أن يحيا هذه الحياة والى جانبه هذه الفتاة الغامضة لم ينل منها في الاثم شيئاً فهو لا يحس شيئاً من روح ومي ترى ان لا سبيل الى ذلك وتنبئه انه قد قضى عليهما بهذا العذاب الغريب فيسألها عمن قضى عليهما بذلك فتجيبه انهما القاضيان به ، فيطلب منها الافصاح

عن عمومها لتنجاب هذه الظلمة فتنبهه الى انها تخشى إن انجابت هذه الظلمة عنهما وغمرها الضوء ان يكره كل واحد منهما النظر في وجه صاحبه فيضطرب ويطلب الايضاح مهما كانت العاقبة فتنطلق ملقية اليه بقصتها كأنها تتحدث عن شخص غريب الى شخص غريب

ونستمع الى الدكتور طه وهو يختم هذه القصة بأروع ختام حين يقول على لسان الفتاة «وما أدري أطال الوقت الذي ألقيت فيه قصتي أم قصر . ولكني أعلم أني سمعتني أقول: أفهمت الآن ؟ أترى الى هذا الضوء الذي يغمرنا ! أتستطيع أن تنظر اليّ . وقد انتظرت جوابه لحظة غير قصيرة ولكني سمعته كما لو كان يتحدث اليّ من مكان بعيد جداً ، سمعته يقول نعم استطيع أن أنظر اليك ولن استطيع أن انظر الاّ اليك . وأنت أتطيقين ان تنظري اليّ ، أما زلت تضمرين الانتقام؟ ولم أجب الاّ بما تجيب به المرأة المغلوبة التي انكسرت نفسها وذاب قلبها فهو يسيل من عينها دموعاً . ثم أسمعه بعد وقت لا أدري أكان طويلاً أم قصيراً يقول لي لقد كان من الممكن ان نفترق قبل أن يغمرنا هذا الضوء ، فأما الآن فقد أصبح افتراقنا شيئاً لا سبيل اليه . أليس من العجب أن يكون هذا الضوء الذي أخذ يغمرنا شراً من الظلمة التي خرجنا منها . إن أحدنا لن يستطيع أن يهتدي في هذا الضوء الاّ اذا قاده صاحبه . إن العبء لأثقل من أن أحمله وحدي فلنحتمل شقاءنا معاً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً ... ثم انقطع الحديث بيننا فلم يقل شيئاً ، ولم أقل شيئاً وأطبق على الغرفة صمت هائل رهيب غرقنا فيه يقظين كما يغرق النائم في نوم بريء من الاحلام .... ولكن صوتك أيها الطائر العزيز يلقني فينتزعني انتزاعاً من هذا الصمت العميق فأتب وجلة مذعورة ويثب هو وجلاً مذعوراً ثم لا يلبث أن يثوب الينا الأمن ويرد الينا الهدوء . فأما أنا فتنحدر على خدي دمعتان حارتان ، وأما هو فيقول وقد اعتمد بيديه على المائدة : دعاء الكروان أترينه كان يرجع صوته هذا الترجيع حين صرعت منادي في ذلك الفضاء المريض»

هذه هي قصة « دعاء الكروان » وانها لفي جلال روعتها جديرة بالخلود لأن ما فيها من صدق التصوير لمختلف الاحاسيس والمناظر بحيث لم يفلت منها شيء مهما دقّ ، يبعث على الاعجاب والدهشة وليس بغير على القلم الذي سجل « الأيام » أن يخلق من خلال الحقيقة الماثلة في هياكل الخيال صوراً فتانات وأن يأتي كل يوم بروائع خالدات . وقد قدّم الدكتور طه قصته الى صديقه الأستاذ العقاد بهذا الاهداء الرقيق

« سيدي الاستاذ : أنت أقمت للكروان ديواناً فخماً في الشعر العربي الحديث ، فهل تأذن لي أن أتخذ له عشّاً متواضعاً في النثر العربي الحديث وأن أهدي اليك هذه القصة تحية خالصة من صديق مخلص » . ولكن الدكتور طه لم يشأ أن يكون هذا الكروان الاّ قمراً سحرياً حين أراد ان يكون عشّاً متواضعاً

تراث العرب العلمي

تأليف قدري حافظ طوقان — هدية المقتطف السنوية (١٩٤١) — صفحاته ٢٦٧

علم قرّاء المقتطف ومشتركوهُ أن هديتهُ السنوية (١٩٤١) هي كتابٌ نفيس عنوانهُ « تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك » تأليف الأستاذ قدري حافظ طوقان . وقد تمّ طبع هذا الكتاب وسيصدر بعيد صدور مقتطف فبراير (١٩٤٢) وسيرسل الى جميع المشتركين الذين سددوا ما عليهم الى ادارة المقتطف

وقد رفع مؤلف الكتاب كتابهُ الى مقام حضرة صاحب الجلالة مولانا المعظم الملك فاروق الاول باذن من ديوان جلالتهِ . وهذا نصّ الاهداء

مولاي صاحب الجلالة

ورثتم مولاي ، عن ساكن الجنان والدكم العظيم العمل على بعث الثقافة الاسلامية والكشف عن امجاد العرب الفكرية ، وشغفتم في هذا العمل القومي ، روحاً من روحكم الكريم وأضفيتم عليه جلالاً من جلالكم السامي ودفعتم فيه حياة زاخرة من شبابكم الزاخر أدامهُ الله

وفي هذا الكتاب حاولت انصاف حضارة العرب في بعض نواحيها ، وتجلية أمجادها العقلية في ميدان العلوم الرياضية والفلكية ، فحملني واجبي القومي ، على التوجه بالاهداء الى مقام جلالتكم السامي وسدتكم العالية ، راجياً ان تشرفوه وتشرفوني بالقبول ، داعياً المولى تعالى ان يكلأ جلالتكم بعنايته ويحفظكم ذخراً للعرب والاسلام

نابلس — فلسطين

خادم جلالتكم المخلص
قدري حافظ طوقان

وتفضل حضرة صاحب العزة الاستاذ الدكتور علي مصطفى مشرّفه بك عميد كلية العلوم بتقديم الكتاب الى القرّاء بالكلمة التالية

في يونيه من سنة ١٩٣٥ كتبت في «جريدة الجهاد» تحت عنوان « ثقافتنا العلمية » فذكرت اننا في مصر اليوم ننقل المعرفة عن غيرنا ثم نتركها عالقة لا تمت بصلة الى تاريخنا ولا تتصل بتربتنا وقلت ان شجرة المعرفة يجب ان « تطعّم » على أسس من ماضينا فتتصل اتصالاً طبيعيًّا بمنابع ثقافتنا ودعوت الى نشر المؤلفات العربية المخزونة في بطون المكاتب وبين جدران المعاهد الأثرية والى احياء ذكرى علماء العرب بين ظهرانينا فاذا ما استخرجت هذه الكتب من خزائنها ونشرت على جمهور الناطقين بالضاد واذا ما شرحت وبحثت على حقيقتها واذا ما اقتبسنا منها ما يمكن اقتباسه في مؤلفاتنا العلمية الحديثة واذا ما عمدنا اصحابها

وأصبحت اسماؤهم مألوفة لدينا وغدا فضلهم معترفاً به بيننا فعندئذٍ يمكن وضع ثقافتنا العلمية على أسس متينة وعندئذٍ يمكن ان تتطوَّر هذه الثقافة تطوراً طبيعيًّا من شأنه ان يعيد اليها مجدها وقوتها ومهابتها . وبعد نشر مقالي هذا بستة عشر يوماً ظهر في نفس الجريدة مقال ممتع للاستاذ قدري حافظ طوقان مؤلف هذا الكتاب أشار فيه الى مقالي وعبَّر بطريقة بليغة ووافية عما حاولت ان اتعرض له فحفزني ذلك الى كتابة مقال آخر تحت عنوان « بعث الثقافة العربية » دعوتُ فيه الى عقد مؤتمر عام تتضافر على عقده الأمم المتكلمة بالعربية ويخصص لدراسة تاريخ العلوم عند العرب

فالأستاذ طوقان قد جمعني به توافق الخواطر . وليس بغريب ان تتوافق خواطرنا اذ بيننا صلة قوية هي صلة الثقافة العربية التي يجري دمها في عروق المصري والشامي والعراقي والمراكشي على السواء . ومنذ ذلك الحين وانا اتتبع باعجاب ما بذله ويبذله الاستاذ طوقان من مجهود صادق في خدمة العلوم العربية وتاريخها . فلما تفضَّل عليَّ باتاحة الفرصة لي لكي أنشر كلمة صغيرة في أول هذا الكتاب رحبت بذلك شاكراً له حسن ظنه . وقد قرأت الكتاب فوجدته قد جمع بين الدقة العلمية واللذة الفكرية فهو يصلح كمرجع للمتخصص في تاريخ العلوم العربية كما يصلح لمطالعة كل من يطلب المتعة في القراءة . وانني أهيب بكل فاطق بالضاد ان يقرأ هذا الكتاب وان يمكن النظر فيه وان يتشبع بروحه

ومنذ كتابة المقالات التي اشرت اليها في جريدة «الجهاد» قد بذلت بعض الجهود في تحقيق ما دعا اليه الاستاذ طوقان ودعوت اليه : من الاهتمام بعلماء العرب وآثارهم فنشرت بعض الكتب ككتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة واحتفل بذكر بعض العلماء كابن الهيثم . وقد جاء هذا الكتاب مرحلةً جديدة من مراحل هذا التقدم وهي مرحلة أساسية سيكون لها أثر بليغ في تطور التفكير العلمي في البلاد العربية إذ ما من شك في ان شبابنا اليوم يتطلع الى ماضيه ليستلهم منهُ الوحي وليستمدَّ منهُ العزم والحركة وهذه صفحات الماضي المجيدة يضعها الاستاذ طوقان أمام أعين الشباب والشيب معاً لتكون لهم حافزاً وملهماً

انني أشعر وأنا أكتب هذه الكلمة ان عصراً جديداً قد بدأ في الشرق يشبه عصر النهضة في اوربا . فكما ان الاوربيين عندما افاقوا من قرونهم الوسطى عمدوا الى احياء ماضيهم فبعثوا الثقافة الاغريقية وجعلوا منها اساساً لنهضتهم كذلك نحن في الشرق قد هدانا وحي السليقة الى منابع عظمتنا فرجعنا الى ماضينا ليكون قاعدة لصرح تقدمنا

وبعد فاني لا أريد أن أطيل على القارىء فأمامهُ الكتاب فليقرأه فانهُ سيجد فيهِ ما يغني عن كل تقديم والسلام

ديسمبر سنة ١٩٤١ علي مصطفى مشرفه

فهرس الجزء الثاني

من المجلد المائة

١١٣ ذخيرة الشتاء
١ — اسرار الجليد
٢ — العلم بين الشيخوخة والتعمير
٣ — العلم والمطاط والحرب
٤ — جسم الانسان والكيمياء الحيوية

١٣١ رجل ! (قصة) : للدكتور بشر فارس
١٣٧ مثل تاريخي للدفاع عن الحرية الفكرية في جامعة اميركية
١٣٩ الاضطرابات العقلية في علم النفس الحديث : لموكلي : نقلها حسن السلمان
١٤٤ الأفاني واصلاح صناعتها : لعبد الرحمن فهمي بك
١٥٠ صنائع على قبور : لراجي الراعي
١٥٢ كيف ظهرت الحياة على الارض : لنعيف المنقادي
١٦٠ الهيكسوس : أصلهم وموطنهم الاول : للدكتور باهور لبيب
١٦٤ التربية البدنية في الطفولة الأولى : للدكتور شوكت موفق الشطي
١٦٨ البراق النبوي وقصة المعراج في التصوير الاسلامي : لعمر حمدي
١٧٣ العدالة والتعدي : لعلي محمد ابو وافية
١٧٥ جو القمر : ورأي جديد في اصل الفجوات التي على سطحه
١٧٧ حديقة المقتطف * تاجور الشاعر العالمي الملهم : لمحمود المنجوري
١٨٧ باب الزراعة والاقتصاد * مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي

١٩٠ باب اخبار العلم * الحرب والسياسة والجغرافيا . الطعام المركز الكبريت . العلم والاستبداد . داء الهم باسم . طائفة جديدة من قاتلات الميكروب . الحرب وقرح المعدة . الذهب الكهربي : نوع جديد من التخدير . جوز يستنبت الطائرات وراء الضباب . الثلج سميك : نواح متعددة من فوائد المياه الجليد : لموسى جندي
١٩١ مكتبة المقتطف * دعاء الكروان . تراث العرب العلمي : للدكتور علي مصطفى مشرفة بك

لحق بالمقتطف :

معنى الديموقراطية : للدكتور محمد عبد الله العربي بك